

التحرير والتنوير

وعداوة اليهود لجبريل نشأت من وقت نزوله بالقرآن على محمد A . وقيل لأنه ينزل على الأمم التي كذبت رسلها بالعذاب والوعيد نقله القرطبي عن حديث خرجه الترمذي . وقوله (من كان عدوا لجبريل) شرط عام مراد به خاص وهم اليهود . قصد الإتيان بالشمول ليعلموا أن لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادي جبريل إن كان له معاد آخر .

وقد عرف اليهود في المدينة بأنهم أعداء جبريل ففي البخاري عن أنس بن مالك قال سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله وهو في أرض يخترف فأتى النبي فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي " فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال رسول الله أخبرني بهن جبريل آتفا قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة فإنهم أبغضوه لأنه يجيء بما فيه شدة وبالأمر بالقتال الحديث وفي سفر دانيال من كتبهم في الإصحاح الثامن والتاسع ذكروا أن جبريل عبر لدانيال رؤيا رآها وأنذره بخراب أورشليم . وذكر المفسرون أسبابا أخرى لبغضهم جبريل . ومن عجب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من الله ويبغضونه وهذا من أخط دركات الانحطاط في العقل والعقيدة ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة لأنه ينبئ عن تظافر آرائهم على الخطأ والأوهام . للقرآن عائد (نزله) ب المنصوب الضمير . (الله بإذن قلبك على نزله فإنه) وقوله A E إما لأنه تقدم في قوله (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) وإما لأن الفعل لا يصلح إلا له هنا على حد (حتى توارت بالحجاب) . (فلولا إذا بلغت الحلقوم) . وهذه الجملة قائمة مقام جواب الشرط .

لظهور أن المراد أن لا موجب لعداوته لأنه واسطة أذنه الله بالنزول بالقرآن فهم بمعاداته إنما يعادون الله تعالى فالتقدير من كان عدوا لجبريل فلا يعاده وليعاده الله تعالى . وهذا الوجه أحسن مما ذكره وأسعد بقوله تعالى بإذن الله وأظهر ارتباطا بقوله بعد من كان عدوا لله وملائكته كما ستعرفونه ويجوز أن يكون التقدير فإنه قد نزله عليك سواء أحبوه أم عادوه فيكون في معنى الإغاطة من باب قل موتوا بغيظكم كقول الربيع بن زياد : .

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت ساحتنا بوجه نهار .
يجد النساء حواسرا يندبهن ... بالليل قبل تبليج الإسفار أي فلا يسر بمقتله فإننا قد قتلنا قاتله قبل طلوع الصباح فإن قاتله من أولياء من كان مسرورا بمقتله . ويجوز أن يكون المراد فإنه نزل به من عند الله مصدقا لكتابهم وفيه هدى وبشرى وهذه حالة تقتضي محبة من جاء به فمن حمقهم ومكابرتهم عداوتهم لمن جاء به فالتقدير فقد خلع ربقة العقل أو حلية

الإنصاف . والإتيان بحرف التوكيد في قوله (فإنه نزله) لأنهم منكرون ذلك . والقلب هنا بمعنى النفس وما به الحفظ والفهم والعرب تطلق القلب على هذا الأمر المعنوي نحو " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب " كما يطلقونه أيضا على العضو الباطني النوبري كما قال : " كان قلوب الطير رطبا ويا بسا " و (مصدقا) حال من الضمير المنصوب في أنزله أي القرآن الذي هو سبب عداوة اليهود لجبريل أي أنزله مقارنا لحالة لا توجب عداوتهم إياه لأنه أنزله مصدقا لما بين يديه من الكتب وذلك التوراة والإنجيل . والمصدق المخبر بصديق أحد . وأدخلت لام التقوية على مفعول مصدقا للدلالة على تقوية ذلك التصديق أي هو تصديق ثابت محقق لا يشوبه شيء من التكذيب ولا التخطئة فإن القرآن نوه بالتوراة والإنجيل ووصف كلا بأنه هدى ونور كما في سورة المائدة .

وتصديق الرسل السالفين من أول دلائل صدق المصدق لأن الدجاجة المدعين النبوات يأتون بتكذيب من قبلهم لأن ما جاءوا به من الهدى يخالف ضلالات الدجالين فلا يسعهم تصديقهم ولذا حذر الأنبياء السابقون من المتنبيين الكذبة كما جاء في مواضع من التوراة والأنجيل . والمراد بما بين يديه ما سبقته وهو كناية عن السبق لأن السابق يجيء قبل المسبوق ولما كان كناية عن السبق لم يناف طول المدة بين الكتب السابقة والقرآن ولأن اتصال العمل بها بين أممها إلى مجيء القرآن فجعل سبقهما مستمرا إلى وقت مجيء القرآن فكان سبقهما متصلا